جامعة ابن طفيل **مادة : السرد العربي القديم**

كلية اللغات والأدب والفنون **الفصل : الثالث**

القنيطرة **الأستاذة : مارية البحصي**

مدخل إلى السرد العربي القديم

لم يحظ السرد العربي القديم بالاهتمام الكافي والعناية اللازمة، رغم الاتفاق على وجوده وتوفر نصوصه المنضوية ضمن أجناس سردية مختلفة، كالأخبار، والنوادر، والحكايات ،والأمثال، والمسامرات، وقصص الحيوان، والقصص الخيالية والشعبية ،والسير، وغيرها .

إن ذلك يرجع إلى الحظوة التي لقيها الشعر دون السرد ، وإلى استمرار النظر إلى الموروث الأدبي العربي على أنه متمركز في الشعر فقط ، وأن الهوية الثقافية إنما تتجلى بالدرجة الأولى في الشعر لما تميزت به الشعرية العربية من قوة ونفوذ وانتشار ، يضاف إلى ما سبق سبب آخر ساهم بدوره في تراجع الاهتمام بالتراث السردي ألا وهو الشفاهية التي تحكمت في الثقافة العربية ، فالسرد لم يتيسر له الانتشار لما يتطلبه من تأليف وتدوين عكس الشعر الذي ساعده وزنه وإيقاعه وموسيقاه على تجاوز حواجز الشفاهية .

لقد حظي الشعر بأفضلية النوع على السرد ، وأعيد تأسيس منظورنا الثقافي والنقدي وفقا لهذه المعادلة ، ولعل المقولة الشائعة :(**الشعر ديوان العرب)** واحدة من المقولات التي كرست أفضلية الشعر على السرد ، لكننا نجد كثيرا من الشعر فيه سرد لكثير من الحكايات والأخبار والأحداث التي عاشها العرب **(كأخبار الحب والعشق ، وأخبار الرحلة والنجعة ، وأحداث الحروب والبطولات .....ألخ)** ، وفي السرد أيضا شعر كثير .

مر السرد العربي القديم في سيرورته بمراحل متعددة سيؤثر فيها نزول القرآن الكريم الذي سيرد الاعتبار للسرد لكونه سيتبناه ويقصي الشعر في المقابل ، حيث تم

الحرص على أن القران الكريم هو خطاب مستقل له أدواته الخاصة ، ووسائله الالاهية المستقلة ، وعلى أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ليس بشاعر ولا ساحر ولا مجنون ولا بكاهن ، وهي صفات رددها المشركون بكثرة في وصف الرسول الكريم .

إن القرآن لم يكن عند نزوله يسعى إلى إحداث قطيعة معرفية وثقافية مع تراث العرب، وإنما الغاية كانت تأسيس ثقافة موازية قوامها السرد، وهوما يجعل القصص في القرآن يحضر بصفته نوعا جماليا ومعرفيا .

لقد كان حضور السرد القصصي في القرآن الكريم غزيرا ومتنوعا، مما جعله معادلا موضوعيا للشعر من الناحية الثقافية ، فقد قال سبحانه وتعالى : **" نحن نقص عليك أحسن القصص "** ، من هنا نلاحظ حضور قصص الأنبياء كقصة **يوسف عليه السلام ، وقصة إبراهيم، وقصة سيدنا نوح عليه السلام ، وقصة سيدنا موسى ، وسيدتنا مريم ، وقصص الأقوام كقوم لوط وهود** .....ألخ .

لكن رغم انتصار القرآن الكريم للسرد والاعلاء من شأنه، إلا أن الانصراف عنه قد وقع بعد ذلك بسبب خطورة القص، وقت جمع الحديث النبوي الشريف الذي تزامن مع تكاثر القصاص والوعاظ والمذكرين الذين كانوا يستخدمون القصص في الترغيب والترهيب بأحاديث موضوعة في الغالب ، مما حمل الخلفاء والفقهاء على التصدي لهذه الظاهرة ، وفي مقابل التضييق على القصاص كان الشعراء يستقبلون بالحفاوة ، وتفتح لهم أبواب البلاطات، ويحتفى بهم ويكرمون بالعطاء، فأصبح الخطاب الثقافي منقسما إلى خطابين متضادين: خطاب نخبوي، وآخر شعبي ، فالخطاب النخبوي احتضن الشعر ووظفه لخدمة سياقاته السياسية والاجتماعية ، فكان حاضرا ومواكبا للمحافل الاجتماعية الكبرى، ولاحتفالات البلاط السياسية، أما الخطاب الشعبي فقد استغل الامكانات السردية لمواجهة السلطة ، وتعتبر **كليلة ودمنة، ونصوص المقامات، وألف ليلة وليلة، وغيرها** مثالا لمقاومة النخبوي سياسيا واجتماعيا .

أما عن الحظوة والشهرة التي حظي بها جنس المقامة فان ذلك راجع إلى أهميتها اللغوية والبلاغية أكثر من أهميتها من الزاوية السردية ، حيث كانت تعتبر هزلا مسليا ، وبالتالي فهي ليست من أدب الخاصة كالشعر .

إن الأشكال السردية الضخمة التي أنتجها الأدب العربي لم تحظ بالعناية اللازمة من طرف النقد العربي مثلما حظي الشعر تصنيفا وتبويبا ودراسة ، فللشعر منزلة رفيعة على مدى الدهر، وهو سجل العرب الحافل بانتصاراتهم وحروبهم وتاريخهم، أما السرد فقد ارتبط بالهزيمة لأن الأمة العربية حينما فقدت انتصاراتها وزهوها الذي سجله الشعر جاء السرد معوضا هذا الانكسار بالحضور، وتغذية الفكر والوجدان،ومحاربة كثير من الظواهر الاجتماعية التي تفشت في المجتمع العربي ؛

وسنجد أن المناهج النقدية الحديثة في تحليل الخطاب والسرديات هي التي ستعيد للسرد العربي القديم قيمته واعتباره بفضل جهود باحثين وكتاب عرب من أمثال **عبد الفتاح كليطو ، ومحمد مفتاحّ، وسعيد يقطين ، ومحمود طرشونة ، وعبد الله ابراهيم ، وغيرهم** ممن أغنوا هذا الحقل بمناهج حديثة لا تكتفي بوصف النص ، أو كشف مضامينه ، وإنما تتجه إلى كشف قوانينه وكيفيات انتظامه وعلائقه .